التزام الشعر الجزائري الحديث بالقضية الفلسطينية
-مقاربة في نقد النقد-

The commitment of modern Algerian poetry to the Palestinian cause
-An approach to criticism-

سهيلة بوساحة[1]

جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج، الجزائر
souhyla.boussaha@univ-bba.dz

تاريخ الوصول 2024/03/01القبول 2024/05/19 النشر على الخط 2024/06/01
Received 01/03/2024 Accepted 19/05/2024 Published online 01/06/2024

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى عرض جهود النقد الجزائري الحديث في قضية التزام الشعر الجزائري بالقضايا القومية العربية، خاصة القضية الفلسطينية التي تفاعل معها الشاعر الجزائري منذ بدايتها، وحاول أن يبث مشاعره وإحساسه اتجاه الشعب الفلسطيني الجريح؛ مما يكشف عن التزامه تجاه القضايا الإنسانية ومساندته للقضية الفلسطينية.

إذ نقف من خلال مقاربة المشهد النقدي الجزائري الحديث على منجزات نقدية لنقاد الشعر الأوائل أمثال عبد الله الركيبي، الذي حاول في منجزاته التعرّف على موقف الشاعر الجزائري الحديث من القضية الفلسطينية، خاصة مع تزايد المد الاستعماري الفرنسي في الجزائر.

ولقد وقف الناقد على وجود إنتاج أدبي منوع بين الشعر والمقال، تفاعل فيه صاحبه مع القضية الفلسطينية، وسعى جاهدا للتعريف بهذا الإنتاج الأدبي، وجمع مختلف القصائد والمقالات المنشورة على صفحات الجزائر، تُثبت التزامية كتاب الجزائر بالقضية الفلسطينية، وأنا بدوري سأحاول عرض جهود الناقد الجزائري عبد الله الركيبي من خلال منجزاته النقدية، التي أثبت فيها التزام الشعر الجزائري الحديث بالقضية الفلسطينية، ومن ثمّ تقديم بيبليوغرافيا الكتابات الجزائرية عن القضية الفلسطينية، والتي تغافل عنها نقد النقد الجزائري، وحجبها عن الدراسة والتحليل، ومن ثمّ المساهمة في تقديمها للقراءة والبحث الأكاديمي الجاد.

الكلمات المفتاحية: القضية الفلسطينية، الشعر الجزائري، النقد الجزائري، الالتزام، نقد النقد.

Abstract:

This study aims to present the efforts of modern Algerian criticism in the issue of Algerian poetry's commitment to Arab nationalist issues, especially the Palestinian issue, which the Algerian poet interacted with from its beginning, and tried to broadcast his feelings and sentiments towards the wounded Palestinian people. Which reveals his commitment to humanitarian issues and his support for the Palestinian cause.

By approaching the modern Algerian critical scene, we find the critical achievements of early poetry critics such as Abdallah Rukibi, in which he tried to identify the position of the modern Algerian poet on the Palestinian issue, especially with the increasing French colonial tide in Algeria. The critic noticed the existence of a diverse literary production between poetry and articles, in which its author interacted with the Palestinian issue, and he strove hard to introduce this literary production, in which he demonstrated the commitment of modern Algerian poetry to the Palestinian issue, and then presented a bibliography of Algerian writings on the Palestinian issue, which Algerian critical criticism had overlooked, withholding from study and analysis, and then contributing to presenting it for reading and serious academic research.

Keywords: the Palestinian issue, Algerian poetry, Algerian criticism, commitment, criticism of criticism .

[1] المؤلّف المراسل: **سهيلة بوساحة** البريد الإلكتروني: **souhyla.boussaha@univ-bba.dz**

1. مقدمة:

كانت قضية فلسطين ولا زالت في مقدمة القضايا التي شغلت الفكر الإنساني العربي، والجزائري منه على وجه الخصوص؛ فلقد انفعل الشعراء والكتاب بها وعبروا عنها في مقالاتهم وقصائدهم، معبرين عن إيمانهم بحق الشعب الفلسطيني في إرجاع وطنهم.

ولقد حاول الناقد الجزائري عبد الله الركيبي تتبع تطورات القضية الفلسطينية لدى الشعراء والكتاب، ولقد اختار المنهج التاريخي أكثر من المنهج النقدي للتقويم والتفسير، هادفا إلى استعراض الإنتاج الغزير الذي ظهر في الشعر الجزائري التزاما بالقضية الفلسطينية منذ بدأت تتضح خيوط المؤامرة الصهيونية الاستعمارية على فلسطين.

سأحاول عرض هذا الإنجاز الجزائري الملتزم بالقضية الفلسطينية، منطلقة من التصورات والمفاهيم التي ضمها الركيبي في منجزاته النقدية، وحاول فيها مسايرة القضية الفلسطينية وتطوراتها زمنيا وسياسيا، مستعرضا ما كُتب عن القضية الفلسطينية منذ ظهورها على مسرح السياسة حتى نكبة 1948، متتبعا الفترة التي تلت النكبة وامتدت حتى نكسة 1967، والقصائد التي كتبت بعد النكسة.

سأتبع منهجية تستمد أدواتها من نقد النقد ونظرتي القراءة والتلقي، معتمدة على ما توفرانه من آليات إجرائية تصلح لمثل هذه الدراسات التي تحاول تقديم قراءة فوق قراءة.

ستسهم مقاربة نصوص نقدية تتبعت نصوصا إبداعية التزام فيها أصحابها بالقضية الفلسطينية، في التعريف بالقضية الفلسطينية التي شغلت الفكر والفن وكلّ أشكال الوعي؛ لأنّها نصوصا تنضح إحساسا وصدقا وألما، عكست صورة فلسطين في وجدان الشعب الجزائري وإحساسه الملتهب، وتبقى القضية الفلسطينية تشغل فكر وإحساس الشعب الجزائري بكلّ ظروفها وأحداثها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

2. التزام الشعر الجزائري الحديث في ميزان النقد.

1.2. الالتزام في الشعر الجزائري الحديث: رؤى ومواقف نقدية:

تفاعل الشعر الجزائري الحديث مع الواقع الجزائري والعربي الثوري المتطور، "كون الشعر الجزائري ومعه الفلسطيني شعر قضية وطنية قوامه الواقع"[1] لذلك يعوّل النقاد على الالتزام في التحليلات النقدية الرامية لكشف العلاقة الجدلية بين الواقع والإبداع للوقوف على مدى وعي الفن واستيعابه للمهمة الملقاة على عاتقه والتي قالت بها النظريات النقدية المعاصرة وطالبت الفن بها، فالالتزام مارس سلطته على المبدع الذي تخلى عن مختلف التوجهات الفنية القديمة واتخذ منه مذهبه الذي يتمذهب عليه جل أدبه الحديث والمعاصر.

والمتتبع لتاريخ الآداب الإنسانية يجدها تنبع عن التزام وبالتالي فـ "الالتزام وُجد في كل المراحل التي مر بها الأدب لوجود دوافع حقيقية منها الدافع الذاتي الداخلي الذي يفرض على الأديب موقفا معينا، ويقابله الدافع الخارجي الذي تمثّله النظم السياسية والمذاهب

[1] انظر: حسن فتح الباب، شعر الشباب في الجزائر، ص: 40،

الفلسفية التي يمكن أن تفرض نفسها على الأديب عن طريق السلطة"[1] أو يختار هو تبنيها والالتزام بها، فكل التجارب الإبداعية تكشف عن ارتباط وتعالق الأديب مع أفكاره ومعتقداته وشعوره وآماله "فقد التصق الشعر العربي منذ نشأته بوجدان الجماعة وحاجاتها"[2] مما يعني أنّ "الالتزام أمر لا يمكن أن يتجاوزه أي أديب حقيقي"[3] ولا يمكن له أن يرتبط بعصر دون آخر.

ويعي نقاد الشعر الحديث أنّ قضية الالتزام قد صاحبت الإبداع وبذورها "وُجدت منذ أصبح للإنسان قضية يتبناها ويعمل في سبيلها، وعقيدة يعتنقها ويجاهد من أجلها"[4] الأمر الذي يتأكد معه التزامية الأدب العربي القديم والقول بأنّه "يخلو من التوجيه ومن الالتزام في حاجة ماسة إلى شيء من التصحيح"[5] وفي هذا ينتفي معه الرأي القائل بعدم التزام الشعر الجزائري الحديث لتقليده للأدب العربي القديم الخال من الالتزام ويتأكد التزام شعرنا الثوري المحافظ بقضايا الوطن الذي يسعى إلى "بلورة الطابع القومي في الشعر والتعبير عن إرهاصات الثورة المختزنة في النفوس"[6] شأنه شأن الأدب الحديث؛ إذ يعتبر التزامه بقضايا قومه وعصره بديهية لم يعد يناقشها أحد[7] مما يعني أنّ قضية الالتزام قديمة وليست حداثية متعلقة بالأدب الحديث "فليس الالتزام جديدا في الأدب العربي، بل لعل عصورنا القديمة عرفت منه صورا أدق من الصور الحديثة"[8] يؤكد محمد مصايف أنّ الالتزام بالمفهوم الحديث لم يكن موجودا في القديم، بل ولا حتى في العقود الأولى من هذا القرن، الأمر الذي يتأكد معه أن قضية الالتزام قضية حديثة اتخذت من الفلسفة خلفية إيديولوجية لها، والكثير من النقاد يؤكد أن الالتزام في الأدب العربي القديم عفوي، تصادفت المواضيع التي عالجها مع بعض المقولات التي هي من صميم الالتزام؛ "إنّ ربط الالتزام الحديث بنضال الشعوب يضفي على مبدأ الالتزام صبغة إيديولوجية افتقدها المجتمع العربي القديم، الذي كان يتبنى قضايا العشيرة أو القبيلة عفويا دون الاستناد إلى خلفية إيديولوجية، كما أن القول بأن التزام الشاعر العربي القديم كان عفويا، يوحي بغياب الوعي بقضايا المجتمع الذي يعيش فيه؛ في حين أن الالتزام يتطلب الوعي، الذي يعتبر شرط أساسي فيه.[9]

غير أنّ التزام الآداب الحديثة مختلف عن التزامها في العصور الما قبل حديثة، حيث يفتقد الأدباء القدامى الاستناد إلى خلفيات فكرية أو فنية تمكّنهم من استيعاب مقاصد الفكر الإلتزامي، مما يجعل "فكرة الالتزام في الأدب فكرة حديثة، فلم يعرفه النقد القديم،

---

[1] أنظر: محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي–من أوائل العشرينيات من هذا القرن إلى أوائل السبعينيات منه–، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 254،

[2] محمد فتوح أحمد، الشعر العربي الحديث: جدليات القديم والجديد والأصيل والوافد، ص: 35،

[3] عماد حاتم، تاريخ الآداب الأوربية –الآداب الأوربية حتى القرن التاسع عشرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا–تونس، 1979، ص: 427،

[4] عمر الدقاق، نقد الشعر القومي، ص: 92،

[5] شوقي ضيف، البحث الأدبي–طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره– ط5، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص: 103،

[6] صبري حافظ، الأدب والثورة–الشعر الروسي الحديث: دراسة وقصائد– ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص: 25،

[7] أنظر: سهير القلماوي، الأديب العربي ومشكلات الالتزام، المؤتمر الثامن للأدباء العرب ومهرجان الشعر العاشر، عقد في دمشق من 11 إلى 15 ديسمبر 1971، نقله عبد اللطيف شرارة، معارك أدبية، ص: 299،

[8] شوقي ضيف، البحث الأدبي، ص: 104،

[9] أنظر: محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص: 249–250،

أو هو لم يعرفه في صورة نظرية مبلورة"[1] من جملة الآراء والأفكار المتسقة والمتناسقة والمستندة إلى خلفية فلسفية، على الرغم من أنّ الأدباء القدامى وصفوا الأحداث الاجتماعية والسياسية لكنهم لم يلتفتوا إلى المصالح الشعبية من هذه الأحداث، الأمر الذي جعل أدبهم لا يلبي ما ينتظره النقد الحديث من الأدب الملتزم"[2] لأنّه ملتزم التزاما عفويا غير خاضع لأبعاد الفكر الحداثي.

2.2. التزام الشعر الجزائري بالقضية الفلسطينية:

تعرّض عبد الله الركيبي في كتابه "قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر إلى[3]:

- موقف الشعراء الجزائريين من القضية الفلسطينية،
- إحساسهم العميق بها،
- الكيفية التي عكسوا بها هذا الإحساس في شعرهم وقصائدهم،
- مواكبتهم لمراحل القضية منذ ظهورها على مسرح السياسية.

انعكست هذه الميزة في الشعر وأصبح ملتزما بها، وهذا ما لاحظ **ركيبي** أنّ عناية شعراء الجزائر في شعرهم الحديث غير موجهة للجوانب الهامة لحياة الشعب ولم يعتنوا بأشياء هي من صميم الشعب، وجذبتهم الناحية السياسية أكثر مما تجذبهم النواحي الأخرى، وكل هذا عفوي دون إدراك الشاعر الجزائري للتيارات الأدبية المعاصرة، وقد وضّح **خرفي** أنّ انجذاب الشاعر الجزائري إلى الناحية السياسية لا يعني التزامه بالأحزاب السياسية ونفى عن شعرنا صفة الحزبية، غير أنّ شعرنا لا يعدم مواقف شعرية تولّدت عن مواقف حزبية"[4] وانتماء الشعر إلى حزب سياسي لا يُنقص من قيمته، مما تنتفي معه فكرة أنّ الالتزام هو إلزام ويصلح للحزب الاشتراكي فقط، وقد استدرك **ركيبي** واعترف بتعرُّض شعراء الجزائر لموضوعات الشعب الحساسة لكنّهم لم يوفوها حقها ولم يولوها ما تستحقه من عناية واهتمام[5] واعتراف ناقدنا بتعرُض الشاعر الجزائري الحديث لموضوعات الشعب الحساسة يسمح بإدخال الشعر الجزائري دائرة الالتزام؛ إذ لا يمكن أن يُتخذ من سقوط هؤلاء الشعراء "دليلا على فشل فكرة الالتزام ذاتها، فلم يكن العيب في الفكرة وإنّما كان في أولئك الشعراء أنفسهم"[6] على اعتبار أنّ الشعر الذي يسوده الحس المبهم المصحوب بالبؤس العاطفي له صلة بقضية الالتزام، ويؤكد مختلف النقاد أنّ الميزة المصاحبة للشعر الحديث هو التزامه وثوريته في آن "ومادامت التجربة الحديثة قائمة على الالتزام والثورة، فإنّ قيامها هذا يفترض بصورة حتمية ارتباطها بأمرين متلازمين: أولهما قضايا الحياة والمجتمع في أُطرها القومية والإنسانية، وثانيهما الإيديولوجيات الفكرية"[7] إذ يقف المتأمل للشعر الجزائري الحديث على ارتباطه بقضايا الحياة والمجتمع، غير أنّه لا يمت بصلة في التزامه إلى أي تيار فكري، هو مجرد إحساس لم يتسن له أن "يتبلور في شكل عقيدة فكرية واضحة المرتكزات، أو

---

[1] أنظر: عزالدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر–قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية– ط5، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 1994، ص: 321،

[2] أنظر: محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص: 249،

[3] عبد الله الركيبي، قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، ص41،

[4] أنظر: صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص: 190،

[5] أنظر: عبد الله ركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، ص: 65،

[6] عز الدين اسماعيل، الشعر في إطار العصر الثوري، ص: 15،

[7] أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ص:392،

يصب في مفهوم فلسفي"[1] ويشترك الشاعر الجزائري في هذه العفوية مع شعراء العرب الذين "لم يخلقوا الثورة بآراء ومذاهب ابتكروها من محض قرائحهم، وإنّما كان عملهم موقوفا على إجادة التعبير عن رغبات الشعب الكمينة"[2] مما يعني أنّ إحساس الشاعر الجزائري والعربي بمأساوية الواقع الاجتماعي والثورة عليه نابعة من الطبيعة الإنسانية وليس نتيجة تأثر أو تبني اتجاه فكري أو فلسفي في الإبداع، لذلك لم يتوصل نقاد الشعر في الجزائر إلى استنباط قضية الالتزام من الشعر الجزائري الحديث رغم ما يحمله مضمونه من معان دالة على التزام الشاعر بواقعه الذي ينتمي إليه، والسبب يرجع إلى تغافل أو رفض شعراء الجزائر الاطلاع على التيارات الفكرية والأدبية الوافدة من الغرب وعدم محاولة استثمارها في تجاربهم الشعرية، وكان بإمكان نقاد الشعر في الجزائر أن يُحاولوا الوقوف على قضية التزام الشعر الجزائري الحديث مع بداية تسرُب التيارات الفلسفية المنادية بالتزام الفن والسعي من أجل موقعة الشعر الجزائري الحديث ضمن النظريات الشعرية المنادية بالالتزام، وفوتوا عليهم فرصة دراسة الشعر الجزائري وتحليله اعتمادا على نظريات نقدية لها خلفيات فلسفية وفكرية، مع أنّه يمكن الوقوف في الشعر الجزائري على ما يتوافق وفلسفة الالتزام الذي جاء عفويا ليس له أي مرتكز إيديولوجي؛ إذ يجهل الشاعر الجزائري أن الالتزام يقوم على مبدأ فلسفي أو اتجاه فكري يتخذه المبدع كخلفية ينطلق منها في إبداعه ولا يمكنه أن يلتزم بقضايا عصره وشعبه إلاّ عن طريق الوعي؛ فالمتصفح للشعر العربي الملتزم يجد أنّه قد "تحرك في عمق الأمة وعي جديد حثها على البحث عن ذاتها ومصيرها، وسط ركام الأحداث المتلاحقة واضطراب الأزمات المتناقضة، وكان الأدب عامة –والشعر خاصة– يُغذي هذا الوعي ويرفُده"[3] الأمر الذي مكّن الشاعر من التعبير عن هواجسه الداخلية وما يدور أو يتبلور في ذهنه من أفكار، مما يعني أنّ شعوره الداخلي قد نضج لدرجة الوعي الذي يعمل على تحريك الإنتاج الأدبي في اتجاه القضايا الاجتماعية والواقعية"[4] فبعد أن يتبلور وعي الأديب في ذهنه يسعى إلى إخراجه بعد أن يتخذ منه موقف، وبهذا يعتبر ملتزم إذ يُؤكد مختلف النقاد أنّ "الشاعر المعاصر ملتزم إذا وعى واقعه وما يتخبط فيه من مشاكل، فتقمّص هذا الواقع بمشاكله وأصبح المدافع عنه وعن قضيته يطرحها في نطاق شروطها التاريخية وظروفها الموضوعية، ومن خلال رؤية محدّدة"[5] واصطلح **ركيبي** على الأدب الملتزم الأدب الأصيل على اعتبار أنّه يصدر عن إرادة حرة واقتناع وتفكير سليم"[6] ويُقارب المفهوم الذي قدّمه ناقدنا المفهوم الاشتراكي للالتزام، حيث يُقر الطرح الاشتراكي أنّ فاعلية الالتزام تتحدد بالموضوعات التي تخدم الوطن.

ألقى عبد الله الركيبي الضوء على الأرضية التي وقف عليها الشعراء واستمدوا منها إحساسهم بالقضية الفلسطينية ومحاولتهم التعبير عنها في قصائدهم، وتوصّل إلى أنّ[7]:

- شعراء الجزائر تجاوبوا مع القضية الفلسطينية،

---

[1] أنظر: أمل ديبو، الالتزام في شعر بدر شاكر السياب، ص: 41،

[2] بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، ص: 141،

[3] عباس الجراري، تطور الشعر العربي الحديث والمعاصر في المغرب، ص: 267،

[4] أنظر: سعدون حمادي، الأدب والوعي القومي، ص: 42،

[5] عباس الجراري، تطور الشعر العربي الحديث والمعاصر في المغرب، ص: 619،

[6] أنظر: عبد الله ركيبي، الشعب، 13 مارس 1968، ص: 8، نقلا عن: محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص: 252،

[7] عبد الله الركيبي، قضايا عربية من الشعر الجزائري، ص41،

- انفعال الشعراء بالقضية الفلسطينية وبأحداثها كان تُرجمانا لإحساس الشعب ومشاعره تجاه القضية؛

فالالتزام الشعب الجزائري بالكتابة والتعبير عن معاناة الشعب الفلسطيني سببه تزامن ما حدث للشعب الفلسطيني وتشابهه مع حالة الشعب الجزائري الذي كان في قبضة الاستعمار الفرنسي ويؤكد نقاد الشعر في الجزائر أنّ الدافع لالتزام الأدب بقضايا الشعب الجزائري، وفي نفس الوقت الالتزام بقضايا الشعب الفلسطيني هو سياسي بالدرجة الأولى، واعتبروا "الوعي السياسي لدى الأدباء هو الذي دفعهم إلى التفكير في مصير شعبهم وهو الذي جعلهم يعتبرون أنفسهم مجندين للدفاع عن هذه الشعوب. وقد ظهر هذا الوعي في نظر بعض النقاد في المغرب العربي قبل الحرب العالمية الثانية[1]. في حين يرى بعض النقاد أنّ الدافع لالتزام الآداب الحديثة دافع فني؛ حيث لاح لدى أنصار حركة الفن للفن أن الشعر قد يصبح لونا من ألوان الترف مبتعدا بذلك عن معترك الحياة هادفا إلى الجمال في ذاته منقطعا عن أية مسؤولية وغير مطالب برسالة"[2] فنزلوا إلى الواقع وحمّلوا الأدب مسؤولية حل مشاكله دون الهروب منها، تحدث **ركيبي** عن دور الأديب والشاعر في المعركة وجعله مسؤولا عن توعية الجماهير وتبصيرها بهذه القضية، واعتبر الشعر في حقيقته ثورة[3] وبالتالي لا يمكن للشعر الجزائري الحديث إلا أن يكون ملتزما يضطلع بمهمته الاجتماعية الملقاة على عاتقه والتي طالبته بها مختلف التيارات الفكرية والأدبية المعاصرة، فقديما "كان الشاعر يناضل في سبيل عقيدته السياسية والمذهبية بسيفه وقلمه وشعره"[4] فلعلّ شعرنا لم يلتزم نتيجة تبنيه للطروحات التي نادت بها التيارات المعاصرة وإنّما نتيجة تبنيه التيار المحافظ في الشعر، وإحساسه العميق بمعاناة الشعب الفلسطيني.

ولقد توصّل الركيبي، من خلال معاينته الشعر الجزائري الحديث الملتزم بالقضية الفلسطينية، محاولة منه الوقوف على الكيفية التي تجاوب بها هؤلاء الشعراء، ومعرفة أسباب هذا التجاوب، إلى أنّ انفعال الشعراء بالقضية الفلسطينية وبأحداثها كان تُرجمانا لإحساس الشعب ومشاعره تجاه القضية، كما أكّد انّ الشعراء أحسوا بما حلّ بفلسطين قديما وحديثا، واستدرك أنّ كتاب النثر قد شاركوهم في ذلك، وقبل هؤلاء وأولئك، الشعب الجزائري برمته؛ الذي كان إحساسه بهذه القضية قويا وعميقا؛ وأقرّ ذلك في قوله: "ليس من شك في أنّ الكتاب والشعراء إنّما نقلوا إحساس هذا الشعب ومشاعره نحو فلسطين، وحاولوا أن يعكسوا هذا الإحساس وهذا الشعور في كتاباتهم نثرا وشعرا"[5]، فأنتجوا نصوصا إبداعية كانت بمثابة مبدأ إحداثي لعدد لا متناهي من النصوص الملتزمة بالقضية الفلسطينية، تنضح إحساسا وتعبيرا عن الحب والمساندة التي يكنها الشعب الجزائري للشعب الفلسطيني؛ لذلك يمكن اعتبار النصوص الجزائرية التي كتبت عن القضية الفلسطينية نصوص مساندة ومؤيدة ومعترفة بحق الشعب الفلسطيني في المطالبة بحقوقه واسترجاع وطنه المسلوب المنتهك؛ لأنّ "النص الذي يواكب الحدث، ويسجّل الواقعة، لن ينتظر منه إلاّ أن يكون صدى"[6] لمشاعر قوية وعميقة وصادقة تجاه القضية، تُعيد كلماته وقع الرصاص والسلاح في المعركة و"مادام الشاعر مشتركا في المعركة فهو لا

[1] محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، ص: 237،
[2] أنظر: أمل دييو، الالتزام في شعر بدر شاكر السياب، ص: 02،
[3] أنظر: عبد الله خليفة ركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ص: 64،
[4] شوقي ضيف، البحث الأدبي، ص: 104،
[5] أنظر: عبد الله الركيبي، قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر، ص41،
[6] صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص: 227،

يصفها من خارجها، بل يتكلّم بلسان الـ "نحن" عن الـ "هم"[1] وبالتالي ما كان على الشعر الجزائري الحديث إلاّ أن يعكس القضية الفلسطينية بكل جزئياتها مثله مثل غيره من إنسانيو العالم، وأن تكون للقضية شعراؤها الذين يمثلون ضمير شعبها، ويصورون ما يُخالج صدر هذا الشعب من آمال، وما يعانيه من آلام، وينتصرون في قصائدهم وأناشيدهم لها فيمجّدونها ويفتخرون برجالها.

حاول الشاعر الجزائري أن يُكرّس لشعر القضية الفلسطينية أدواته الفنية أو يستحدث أدوات تتماشى مع النزعة الثورية القومية إذا لم تُسعفه أدواته، فلا بدّ "ليكون لهذا الالتزام قيمته ومفعوله التاريخي من إجادة فنية كافية تتماشى ومبادئ الالتزام والإحساس بالقضية، ولقد وجد الشاعر الجزائري أدوات فنية تتلاءم مع القضية الفلسطينية، والتي استمدها الشاعر من فنيات القصيدة العربية القديمة، وساعدته على "بث الروح الثورية وتغذية طاقاتها في نفوس المواطنين، وببذل جهده لخلق حاجز فكري منيع لمواجهة كل التعاملات الاستعمارية وهجومات الحرب النفسية التي يستعملها العدو"[2] دون أن ينسى المستوى الفني، ويرى **ركيبي** أنّ الشاعر الجزائري "مهموم ومشغول بالواقع، لذلك فهو يعكس في شعره إحساسه بهذا الواقع مستخدما الرمز والأسطورة، بحيث لا نستطيع أحيانا تفسير هدفه المباشر"[3] فقد وجد أداة فنية تُسهّل عليه عملية التزامه بالواقع، فاستخدم الرمز والأسطورة وتمكّن بذلك من خلق حاجز فني واجه به ضغوطات المستعمر الفرنسي وحاول التخفيف على الشعب الفلسطيني الضغط الصهيوني، وهو بهذا أبطل الفكرة القائلة أنّ الشاعر لا يمكنه أن يلتزم؛ نظرا لأنّ الكثير من الشعراء الذين حاولوا التفاعل مع أحداث عصرهم وقضاياه قد أهملوا الجانب الفني، ويعني هذا أن لا يلتزم الشاعر في شعره، وأن يترك هذا الأمر لكتاب النثر، الذين لديهم القدرة على التأثير في المتلقي، ولأنّ أدوات الفنون النثرية لها القدرة على استيعاب المضمون السياسي أكثر من فنيات الشعر، فإذا غلّب الشاعر مستوى المضمون وأعطاه اهتمامه الأكبر وعلى حساب المستوى الفني فهذا يُعتبر هدما لقيمة الأدب وليس التزاما بمبادئ الواقع.

ويرى **ركيبي** أنّه حتى يتحقق للشعر الجزائري التزاميته وجب إيجاد تيار أدبي يُسهّل على الشعر الجزائري الحديث مهمة التزامه بقضية الشعب المصيرية خلافا للتيار الوافد من الغرب، فلقد انعكست فاعلية الشعر الملتزم من منظور الماركسية سلبا على النقد الأدبي وما يتطلبه من جمالية، ذلك أنّ المشتغل بالدراسات النقدية يهمه استخراج العنصر الإيديولوجي المعبّر عنه في العمل الإبداعي من أجل إثبات العلاقة الجدلية بين الشعر والواقع وكذا التعريف بالقضية مع إهمال الجانب الفني الجمالي، فالتزام الشعر قضايا اجتماعية لا يعني تخليه عن التزامه الفني والجمالي، ففي الالتزام يتبع الشكل المضمون ويتضافر معه لإخراج عمل فني متمايز، ويعمل الجانب الفني على إبراز التزام الشاعر في أحسن ما يكون، لكن أهمل النقد الجدلي في صورته الأولى الشكل وركّز على المضمون الإيديولوجي، إذ تتجلى "قيمة الأدب في مضمونه، في دلالته المؤثرة[4] وإهمال الجانب الشكلي وما يُحدثه الفن من أثر جمالي، لكن لا يعني تخلي الشعر الملتزم عن فنياته.

يعتقد بعض المشتغلين بنقد الشعر الملتزم أنّ الالتزام يحتاج العنصر الموضوعي، لذلك لا يهتموا بالإشارة إلى العنصر الذاتي الذي إذا فقده الشعر يفقد كل قيمته، لكن الشعر الجزائري الذي خصّه الشعراء للتعبير عن إحساسهم تجاه القضية الفلسطينية يكشف عن

---

[1] شكري محمد عياد، انكسار النموذجين الرومنسي والواقعي في الشعر، ص: 77،

[2] أنيسة بركات، أدب النضال في الجزائر –من سنة 1954 حتى الاستقلال– مجلة الثقافة، ص: 292،

[3] أنظر: عبد الله ركيبي، الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، ص: 113–114،

[4] محمود أمين العالم، ملاحظات حول نظرية الأدب وعلاقتها بالثورة الاجتماعية، ص: 22–23،

قيمته الفنيّة التي ضمنت له الخلود، والتي تتأتى من مضمونه ومن شكله الفني؛ لأنّ ما يسلب لب القارئ ليس شكل الخطاب وحده وإنّما يبقى مشدودا ولو بخيط رفيع إلى الذات مبدعة الخطاب، ورغم محاولته التملص والهروب من خلال عزل النص عن صاحبه والعناصر الخارج نصية خاصة المجتمع، هو على وعي تام أنّ ما أنتجه المبدع له صلة جد وطيدة بالمجتمع أو الجماعة التي ينتمي إليها والتي يحاول جاهدا إخفاءها عن طريق الاستعانة بمختلف الفنيات الجمالية للشعر، لأنّها "تظل ملّحة، ويظل لحضوره فعالية خاصة، واستبعاده من إطار رؤيتنا يفوّت علينا بعدا من أهم أبعاد القصيدة"[1] ويرجع تركيز النقاد على المضمون لأنّهم يرون أن مهمة الشعر "نشر فكر إيديولوجي خاص ونظرة معينة خاصة تجاه الحياة، وفي الوقت نفسه عليه أن يتبنى موقف جماعة اجتماعية ويعبّر عنها، فإنّه لا يمكن أن يوجد في المجتمع الإنساني استقلال الفرد المطلق عن المجتمع"[2]

عدّد الركيبي بعض الروابط التي تربط بين فلسطين والجزائر منذ فجر التاريخ العربي، ووجد أكثر من رابط، لتشابه حالة الجزائر وحالة فلسطين، أهمها:

- انتماء الشعبين إلى جنس عربي واحد وإلى أمة إسلامية واحدة،
- كلا البلدين عرف الاستعمار الاستيطاني: الإرهاب بشتى صوره، محاولة إذابة الأنا في الآخر، وإلغاء وجوده كشعب له خصائص مختلفة عن الدخيل الأجنبي.

ولقد دفعت هذه الروابط الموجودة بين الشعبين الشاعر والكاتب على السواء، للالتزام بالقضية الفلسطينية، كما ولدّت يقظة جزائرية فكرية؛ تفطنت لخطر الصهيونية، وشكّلت أبعادا متنوعة لدى الكتاب الجزائري، كما اهتمت الصحافة الجزائرية بما يجري في أرض فلسطين، في مراحل مبكرة جدا من تاريخ الأدب الجزائري الحديث.

3. بيبليوغرافيا الكتابات الجزائرية عن القضية الفلسطينية:

التزم الشعر الجزائري الحديث وتبعه النثر بالقضية الفلسطينية، الأمر الذي أسهم في ظهور قصائد ومقالات فنية عبّر فيها أصحابها عن إحساسهم العميق بألم الفلسطينيين، سنحاول عرضها، حسب ورودها في كتاب قضايا عربية للناقد الجزائري عبد الله الركيبي؛ والتي تنم عن اعتمام الصحافة الجزائرية والشعراء الجزائريين بما يجري في أرض فلسطين:

- مقال عنوانه: "ذو الفقار" للكاتب الجزائري عمر راسم، نشره في 28 يوليو سنة 1914، تفطن فيه إلى خطر الصهيونية.
- مقال عنوانه: "فظائع الصهيونية في فلسطين، للكاتب الجزائري محمد السعيد الزاهري، نشره في جريدة الإصلاح سنة 1929، يستثير فيهم الحمية العربية والغيرة الإسلامية.
- مقال عنوانه: "صدى نكبة فلسطين" للكاتب المصري "محمد الشريف" نقلته جريدة الإصلاح سنة 1929.
- مقال عنوانه: "حصن الإسلام ومعقل العروبة" للطيب العقبي، نشره في جريدة البصائر سنة 1937، حاول فيه تحليل القضية الفلسطينية من الوجهة الدينية والتاريخية مؤكدا حق العرب فيها منذ القدم.

[1] عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص: 336،

[2] رجاء عيد، فلسفة الالتزام، ص: 129،

- مقال عنوانه: "واجبات على العرب" "للبشير الإبراهيمي" نشره في جريدة البصائر يتحدث فيه عن واجبات العرب نحو العرب.
- قصيدة "بني التايمز" للشاعر الجزائري "محمد العيد آل خليفة" سنة 1936، هاجم فيها الإنجليز وتحسر على ما حلّ بأولى القبلتين.
- قصيدة بعنوان "القدس" للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة، والتي يعكس فيها حبه وتقديره لفلسطين، وحق العرب فيها.
- قصيدة بعنوان "شباب محمد" لأحمد سحنون، يتحدث فيها عن الشباب العربي ويركّز على الإيمان ويربط بينه وبين استرداد فلسطين.
- قصيدة بعنوان: "صوت الجهاد" للشاعر الجزائري الربيع بوشامة" وهي صرخة مدوية ضد أعداء فلسطين.
- قصيدة بعنوان: "فلسطين تناديكم للجهاد" للشاعر موسى الأحمدي، تتغنى بفلسطين وعروبتها وتشيد بكفاح أبنائها.
- قصيدة بعنوان: "رسالة الشعر في الدنيا مقدسة" لشاعر الثورة "مفدي زكريا" يلوم فيها أولئك الذين يتفرجون على ما تم في فلسطين بعد النكبة والذين كانوا السبب.
- قصيدة بعنوان: "قمة الفتوة" للشاعر "محمد العيد آل خليفة" يعبر فيها عن إيمانه بعودة فلسطين كما كانت جزءا من الوطن العربي.
- قصيدة بعنوان: "فلسطين" لمحمد الأخضر السائحي" يستحث فيها العرب للوقوف إلى جانب فلسطين وتحريرها ممن اغتصبوها.
- قصيدة بعنوان: "العيد الجريح" لمحمد العيد آل خليفة" يصرح فيها أنّ كفاح الجزائر هو بداية لمعركة أخرى من أجل فلسطين.
- قصيدة بعنوان: "الزحف الأصم" لمصطفى خمار" عبر فيها عن شعوره الصادق تجاه فلسطين.
- قصيدة بعنوان: "نوفمبر" للشاعر محمد العيد آل خليفة يربط فيها بين الجزائر وفلسطين.
- قصيدة بعنوان: من فم الأطلس" لأبي القاسم سعد الله عبّر فيها عن وحدة الكفاح في الجزائر وفي فلسطين.
- قصيدة بعنوان: "الانفجار" وأخرى بعنوان "من أناشيد العاصفة" لمصطفى خمار" تدعو للكفاح وخوض المعركة.

4. خاتمة:

ما يمكن الخلوص له من خلال مقاربة الشعر الجزائري الملتزم بالقضية الفلسطينية أنّ:

- الشعر الجزائري تبنى الحديث عن القضية الفلسطينية، وكشف عن مساندته للشعب الفلسطيني منذ بداي التآمر الصهيوني على هذا الجزء من الوطن العربي.
- الشعر الجزائري شعر قضية بامتياز؛ عكس فيه الشاعر حبه العميق لأبناء عروبته وإحساسه بآلامه ومعاناته، وأنّ النقد الجزائري بذل جهدا لدراسة هذا الإنتاج الشعري الذي واكب القضية الفلسطينية من النكبة ومازال يواكبها ويُساندها.

– تتبع النقد الجزائري ما كتب عن القضية الفلسطينية من أشعار وقصائد، بمنهج تاريخي وصفي في بعض المرات؛ للتعريف بهذا الشعر، وإثبات أن الشعر الجزائري اعتبر القضية الفلسطينية قضيته الأولى.

لذلك ما يمكن تقديمه كتوصيات أنّه:

لا بدّ من اهتمام النقد بالشعر الجزائري الذي التزم بالقضية الفلسطينية، واتباع آليات نقدية وإجرائية تقيّم خطابه وتحاول أن تستنبط منه جملة القواعد والقوانين التي تضبطه وتجعله شعر قضية؛ بإمكانه أن يساير الحركة النقدية المعاصرة، وأن يُسهم في بلورة نظرية نقدية خاصة بخطاب الأدب المقاوم، والملتزم بالقضية الفلسطينية، وسيحمّل المسؤولية النقد الأكاديمي من خلال عقد تظاهرات علمية والدعوة للمشاركة في أعداد خاصة بهذا الأدب.

5. قائمة المراجع:

1. أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979.
2. بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، المكتبة الأنجلو مصرية، 1963.
3. الجراري، تطور الشعر العربي الحديث والمعاصر في المغرب من 1830-1990، ط1، مطبعة الأمنية، الرباط، 1997.
4. شوقي ضيف، البحث الأدبي—طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره- ط5، دار المعارف، القاهرة، 1983
5. صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
6. صبري حافظ، الأدب والثورة—الشعر الروسي الحديث: دراسة وقصائد- ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1985.
7. عبد الله ركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، كتب ثقافية العدد 178، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965.
8. عبد الله ركيبي، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
9. عبد الله ركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، ط3، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1977.
10. عز الدين اسماعيل، الشعر العربي المعاصر—قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية- ط5، المكتبة الأكاديمية، القاهرة 1994.
11. عماد حاتم، تاريخ الآداب الأوربية —الآداب الأوربية حتى القرن التاسع عشرة، الدار العربية للكتاب، ليبيا—تونس، 1979.
12. محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي-من أوائل العشرينيات من هذا القرن إلى أوائل السبعينيات منه-، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.